المفاضلة بين الشعراء
في ضوء مقاييس النقد العربي القديم

الدكتور : عبد الرحمن حميد ثامر
كلية المعارف الجامعة

المقدمة

الشعر من المواضيع البارزة قبل الإسلام ، ويرافق الاستماع له ردة الفعل من المستمع . فكانت الآراء مرتجلة ، سريعة ، تلائم طبيعة الحياة البدائية في تلك المرحلة . فالتعليق على الشعر رافق بدايته منذ النشأة .

لذلك فإن ردة الفعل لدى الناقد عند سماعه الشعر جاءت ملائمة لروح العصر ، منسجمة وطبيعة التفكير النقدي القائم على البساطة ، وعدم الركون إلى التفسير والتحليل والتقويم .

قسّمت البحث على ، مقدمة ، وتمهيد وأربعة مباحث ، تناولت في التمهيد جذور المصطلح وإشكاليته . أما المبحث الأول فقد خصصته لدراسة الإجادة ، بوصفها معياراً للمفاضلة بين الشعراء ، تلاه المبحث الثاني ، سلّطت الضوء فيه على مفهوم الكم الشعري . أما المبحث الثالث فقد عرضت فيه قضية تعدد الأغراض مبيناً أثرها في تربع الشعراء صدارة الشعر . في حين جاء المبحث الرابع لدراسة أبداع الصورة ، مبيناً مدى تباين الشعراء في تشكيل صورهم الشعرية .

والأمل أن يكون هذا البحث إسهامة متواضعة تضاف إلى رصيد البحث النقدي .

أنه نعم المولى ونعم النصير

التمهيد

أ– جذور المصطلح :

المفاضلة بين الشعراء ، قديمة في تاريخ الأدب ، وكانت تجري المشاحنات والمناظرات ، بشأن من هو أشعر من بين الشعراء ، وربما ينتهي الجدل إلى الخصام والمشاكل ، كما حصل في حكومة أم جندب ، التي تمثل الخيوط الأولى في جذور المفاضلة بين الشعراء ، إذ حكمت بين امرئ القيس – وهو زوجها – وبين الشاعر علقمة . فلما غلَّبت عليه علقمة في قصيدته البائية طلقها امرؤ القيس[1] .

وهذا المدخل تشتد حاجتنا إليه ، في تتبع جذور المفاضلة بين الشعراء ، ولعلها تبدأ في حكومة أم جندب ، بين امرئ القيس وعلقمة الفحل . ثم حكومة النابغة الذبياني ، ومفاضلته بين الشعراء بعد استماعه للقصائد مباشرة في المكان المخصص له ، الذي يجتمع فيه الشعراء ، وكانت أقواله بمثابة أحكام نقدية أولية يسير على منوالها الشعراء[2] .

ومظاهر المفاضلة ، يكاد يجمع عليها المهتمون بهذا الموضوع إذ كانت من غير أسس علمية ، ولعل هذه الأحكام تأتي من قناعة ، أو لفهمهم للشعر ومتطلباته . فيذكر ابن سلام قول زهير :

وأن أشعر بيت أنت قائله   بيت يقال إذا أنشدته صدقا

فالموقف الذي يُقابل به الشاعر ، ومدى التأثير الذي يحصل عند الاستماع للشاعر يعوّل عليه في المفاضلة .

نقل ابن سلام : سُئل لبيد في شيخوخته من أشعر الناس ؟ أجاب : امرؤ القيس ثم طرفه[3] .

ومن قبيل هذه المفاضلة ، كانت تسري الأحكام ، عند الأوائل على الطبع والسليقة ؛ لذلك أسهموا في تخليد النماذج الرائعة ، واتفقوا على أصالتها . لذلك لا نستغرب عندما يقارن ابن سلام – ولا نعدها مقارنة متعسفة أو قسرية – بين صناعة الشعر والصناعات الأخرى ، ((فمنها ما تثقفه العين ، ومنها ما تثقفه الأذن ، ومنها ما تثقفه اليد ، ومنها ما يثقفه اللسان . من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا تعرفه بصيغة ولا وزن ، دون المعاينة ممن يبصره ، ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم ، لا تعرف جودتهما بلونٍ ولا مسٍ ولا طراز ولا رسم ولا صفة ، ويعرفه الناقد عند المعاينة ، فيعرف بهرجها وزائفها))[1] .

كما ينقل لنا ابن سلام ، قال : ((خلادُ بن يزيد الباهلي ، لخلف بن حيّان أبي محرز ، وكان خلادٌ حسن العلم بالشعر ، يرويه ويقوله : بأي شيء ترد هذه الأشعار التي تروى ؟ قال له : هل فيها ما تعلم أنه مصنوع لا خير فيه ؟ قال : نعم ، قال : أفتعلم في الناس من هو أعلم بالشعر منك ؟ قال : نعم ، قال : فلا تنكر أن يعلموا من ذلك أكثر مما تعلمه أنت ... وقال قائل لخلف : إذا سمعتُ أنا بالشعر أَستحسنه فما أبالي ما قلت أنت فيه وأصحابك . قال : إذا أخذت درهماً فاستحسنته ، فقال لك الصّراف : أنه رديء فهل ينفعك استحسانك إياه ؟))(2) .

تلك الأحكام النقدية يسودها طابع السطحية لا العمق وذلك لغياب الأسس والقواعد في الموازنة بين الشعراء ، ونسوق ما ورد عن النابغة الذبياني عندما أنشده الأعشى ، ثم حسان بن ثابت ، ثم الخنساء عندما قالت :

وأنّ صخراً لتأتمُ الهداةُ به   كأنه عَلَمٌ في رأسهِ نارُ

فقال : والله لولا أنَّ أبا بصير أنشدني آنفاً لقلت أنك أشعر الجنّ والأنس . فقام حسان فقال : والله لأنا أشعر منك ومن أبيك : فقال له النابغة : يا ابن أخي ، أنت لا تُحسن أن تقول :

فانك كالليل الذي هو مدركي   وأنْ خلتُ أنَّ المنتأى عنك واسعُ
خطاطيف مجنٌ في حبالٍ متينةٍ   تَمُدُّ بها أيدٍ إليك نوازعُ

فسكت حسان (3) . وهذه الواقعة توضح لنا بجلاء كيف أن النابغة قد استعمل الحجة المنطقية التي أسكتت حسان ، في عرضه لصور التشبيه وجعلها معياراً للمفاضلة ، التي تدل على قدرة النابغة الشعرية ومهارته الفائقة لرسم مثل هذه الصورة التي أشعرت حسان بعجزه عن الوصول إلى مثل هذا المستوى .

وكان للأسواق الأدبية والتجمعات الشعرية في المواسم الأثر في نضج الشعر ، الذي وصل إلى الأجيال اللاحقة بعد الإسلام ، ومثلما نضج الشعر ، بدأ ينضج النقد أيضاً . وكان للموقف تأثيره في الناقد فالنابغة حكم على حسان في المدينة بأنه أشعر الناس ، على العكس من حكمه السابق الذي أشرنا إليه . بل إن النابغة نفسه يذكر عنه الأصفهاني ، صاحب الأغاني ، أنه لما دخل إلى يثرب ، وكان مهاباً ، إلا إن في شعره عيباً وهو الإقواء ، فلم يقولوا له لحنت . خجلاً منه . فأمروا مغنية أن تغني شعره الذي يقول فيه :

من آل مَية رائحٌ أو مغتدي   عجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مزودِ
زعمَ البوارحُ أنَّ رحلتنا غداً   وبذاكَ خبرّنا الغدافُ الأسودُ

فلما سمع النابغة الغناءَ (مزودِ) بالكسر ، و(الأسودُ) بالضم (القافية) ، فطن إلى موضع اللحن وتجاوز هذا العيب (4) .

وعندما أشرق نور الإسلام ، شغل الناس به ، وبمعجزته الكتاب المنزّل ، أيما أعجاب ، وأدهشهم بسحر بيانه ، واستساغوا الحقيقة ، أن هذا الكلام ، لا يعلى عليه كلام من شعر أو نثر . وتوقف قسم من الشعراء – مثل لبيد – عن قول الشعر .

ولما قدم النبي ﷺ المدينة ، تناولته قريش بالهجاء ، فقال لعبد الله بن رواحة : رد عني . فذهب في قديمهم وأولهم ، فلم يصنع في الهجاء شيئاً . فأمر كعب ابن مالك ... فلم يصنع في الهجاء شيئاً . فدعى حسان بن ثابت فقال اهجهم ، وائتِ أبا بكر يخبرك . أي بمعائب القوم ، وأخرج حسان لسانه حتى ضرب به على صدره وقال : والله يا رسول الله ما أحبُّ أن لي به مقولاً في العرب . فصبَّ على قريش منه شآبيب شر . فقال رسول الله ﷺ اهجهم كأنك تنضَحُهم بالنبلِ . ولما قال حسان للحارث بن عوف بن أبي حارثة المريِّ :

وأمانَةُ المريِّ حيثُ لقيتَه مثل الزجاجةِ صدعُها لم يجبَرِ

قال الحارث : يا محمد ، أجرني من شعر حسان ، فوالله لو مزج به ماء البحر لمزجه [5] .

فالشاعر القوي المؤثر ، ربما في موقف معين ، كما رأينا في هذه المفاضلة العلمية ، وقدرة الشاعر في التصدي .

ولو اقتفينا أثر متابعة الدكتور حميد آدم ثويني للوقوف على المفاضلة في صدر الإسلام . نجد أن المفاضلة ونقد الشعر ((في هذه الحقبة نقد إحساسٍ خالصٍ وفطرةٍ وتأثيرٍ بما كان في عصر ما قبل الإسلام ، لم يتعمق في أسباب تفضيل شاعر على آخر ، غير أن الطابع الإسلامي الذي صبغ كل شيء في الحياة قد أثر في الذوق الأدبي ، كذلك أصبح النّاقد يفضلُ الشعرَ المتعلق بحسن الخلق ، وبتعظيم الله تعالى كما فعل الخليفة عمر ﷺ عندما سمع شعر النابغة :

حلفتُ فَلم أتركْ لنفسك ريبةً وليسَ وراءَ اللهِ للمرءِ مذهَبُ

لئنْ كنتَ قد بُلغتَ عني خيانةً لمبلغكَ الواشي أغشُ وأكذَبُ

فنستطيع أن ندرك أنَّ أعجاب عمر يعودُ إلى ذكر الله في البيت الأول ، وإلى درء الشاعر عن نفسه تهمة الخيانة والغش))[6] فعمر بن الخطاب ﷺ ، غمرت نفسه تعاليم الإسلام . وروي عنه حين أنشد قول الحطيئة :

متى تأتهِ تعشُو إلى ضوء نارهِ تجدْ خيرَ نارٍ عندَها خيرُ موقدِ

أنه قال : كذب ، بل تلك نار موسى نبي الله ﷺ [7] .

فيفضل ﷺ ما يلائم تعاليم الإسلام ، ونجد ذلك واضحاً عندما تقدم إليه الزبرقان بن بدر بشكوى على الشاعر الحطيئة لأنه هجاه بقوله :

دع المكارمَ لا ترحل لبغيَتها واقعد فإنّكَ أنتَ الطاعم الكاسي

فسأل الخليفة عمر ﷺ الشاعر حسان في أثر هذا الهجاء فأجابه حسان : (لم يهجهُ ولكن سلح عليه) . ولم يكتف بهذه الإجابة ، وإنما سأل الشاعر لبيد عن ذلك أيضاً فأجابه لبيد : (ما يسرني إنّه لحقني من هذا الشعر ما لحقه وإنَّ لي حمرَ النعم) وعند ذلك أمر الخليفة بسجن الحطيئة [8] .

ونستطيع القول إن تقييم الشعر هنا ليس لتذوقه أو لمستواه وإنما لتأديب الناس . في الوقت الذي كان يفضل الشاعر زهيراً لأنه لا يعاظل بالكلام ، ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرّجل إلا بما فيه . ويذكر عنه أنه قال أي شعرائكم يقول :

فلست بمستبق أخاً لا تَلمّهُ   على شعثٍ أيُّ الرجال المهذبُ

قالوا : النابغة . قال : هو أشعرهم [9] . (فأشعرهم) هذه على أساس هذا البيت . فهو حكم عام ، لاستحسان بيت شعر في الموقف . كما ينقل لنا ابن سلام أنه ((مرّ لبيد في الكوفة في بني نهد ، فأتبعوه رسولاً سؤولاً يسأله : من أشعر الناس ؟ قال : الملك الضليل ... قال : ثم من ؟ قال الغلام القتيل – يعني طرفة – قال ثم من ؟ قال : الشيخ أبو عقيل – يعني نفسه))[10] فيقيّم نفسه ذاتياً في هذا الموقع من غير أسس .

وكان لنشأة الأمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في بيت النبوة أثره في أحكامه النقدية التي أطلقها على قسم من الشعراء . ونرافق الدكتور عبد الجبار المطلبي في متابعته لبعض أحكام الأمام علي ﷺ عندما قال : يا أبا الأسود : فيم كنتم تفيضون فيه ؟ أي الشعراء أشعر ؟ فقال يا أمير المؤمنين الذي يقول :

ولقد اغتدي يدافع ركني   أعوجيٌ ذو ميعة إضريج
مخلَطٌ مزيلٌ مِعَنٌ مِفَن   مِنفَحٌ مِطرحٌ سبوحٌ خروج

يعني أبا دواد الأيادي . فقال الأمام علي : ليس به ، قالوا فمن يا أمير المؤمنين ؟ فقال : لو رُفعت للقوم غاية فجروا إليها معاً ، علمنا من السابق منهما ولكن إن يكن فالذي لم يقل عن رغبة ولا رهبة . قيل من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : هو الملك الضليل ذو القروح ، قيل : امرؤ القيس يا أمير المؤمنين ؟ قال : هو [11]... .

فالأمام علي لم يوافق على رأي أبي الأسود الدؤلي في تفضيل الشاعر أبي داود في وصفه للجواد بأنه أشعر الشعراء ، لأن هذا الحكم لم يكن نتيجة مقارنة علمية دقيقة ، وإنما هو وليد الذوق الخاص في موقف معين لأبي الأسود ، وربما تحكمت فيه عوامل شخصية وثقافية ، فهو أعجاب خاص كما يحدده د. المطلبي كان معياراً للمفاضلة إلا أن الأمام علي ﷺ لم يوافق على أن يكون شعر معين في موضوع معين أساساً للمفاضلة ، من غير مقارنة شاملة .

ويقول (ولكن أن يكن) ، أجل أن يكن لابد من اختيار أشعر الشعراء ، وعبارة (أن يكن) تشير إلى صعوبة المفاضلة التي يحس بها الناقد ، فالذي لم يقل عن رغبة ولا رهبة . فتجنب الأمام عليه السلام أن يدلي بمثال من الشعر فجعل المفاضلة بين الشعراء وليس بين شعر معين وآخر . وهذا يعني المقارنة بين عوالم خاصة ، أي شاعر نجح في تقديم عالمه الخاص تقديماً يفضل به غيره من الشعراء ؟ أنه الشاعر الذي لم تدفعه رغبة في جائزة أو غيرها ولا رهبة من أحد ، الشاعر الذي كان يقول الشعر لأن وظيفته في الحياة أن يقول الشعر ، الشاعر الأصيل الموهوب لا الذي تجره إلى قول الشعر رغبة في نوال أو رهبة من حيال . إنه الملك الضليل .. إنه أشعر الشعراء ، لأنه شاعر قبل كل شيء ، شاعر قبل أن يكون أميراً أو ملكاً .. نقد استطاع أن يصور عالمه الخاص الفريد تصويراً جميلاً ، أن الأمام ﷺ هنا يطبق المعيار النقدي الفني بمعزل عن المعايير الأخرى . أنها المفاضلة على أساس الشعر الخالص الذي يمنح المتعة الفنية ، وهذا في مجال القيمة الجمالية العالية [12] ، وفعلاً كان امرؤ القيس في القمة لم ينازعه أو يدافعه أحد كما في طبقات ابن سلام : ((فقد نبّه الأمامُ عقولَ العرب والمسلمين إلى أنَّ الإسلام نظامٌ لا يستعبدُ العقل البشري ولم يأت لكي يحطم النّفس البشرية ويجعلها أداة بائسة تكرر ما يطلبُ منها ، بل أطلق حرية القول التي استنبطت فيها قاعدة فقهية تقول : (أن ناقل الكفر ليس بكافر)[13] .

وفي العصر الأموي برز من النقاد باتجاهات مختلفة وتتأثر بالأوضاع المحيطة ، وكان أبرز الشعراء هم الثلاثي جرير ، والفرزدق ، والأخطل . قيل للأخطل من أشعر الناس ؟ قال : أنا ، غير أن الفرزدق قال أبيات شعر لم استطع أن أكافئه عليها ، وهي قوله :

يا ابن المراغة والهجان إذا التقت أعناقها وتحامل الخصمان
لو يسمعون بأكلة أو شربة بعمان صبح جمعهم بعمان
كان الهديل يقود كلَّ طمرّةٍ جرداء مقربةٍ وكل حصان
يا بن المراغة إن تغلب وائل رفعوا عناني فوق كل عنان
ماضر تغلب وائل اهجوتها أم بلت حيث تناطح البحران
أن الأراقم لن ينال قديمها كلب عوى متهتم الأسنان
قوم هم قتلوا ابن هند عنوةً عمراً وهم قسطوا على النعمان [14]

وقيل للفرزدق : من أشعر الناس ؟ قال : أنا ، غير أن الأخطل قال أبياتاً لم استطع أن أكافئه عليها وهي قوله حيث يقول :

ولقد شددت على المراغة سرجها حتى نزعت وأنت غير مجيد
وعصرت نطفتها لتدرك دارماً هيهات من مهل عليك بعيد

وإذا تعاظمت الأمور لدارم   طأطأت رأسك عن قبائل صيدِ
وإذا عددت بيوت قومك لم تجد   بيتاً كبيت عطارد ولبيد
بيت تزل العصم عن قذفاته   في شاهق ذي مصعد محمودِ (15)

نلاحظ أن بين الشعراء أنفسهم الأحكام عامة ، ولو أن التقييم الذاتي لا يعتد به ، لسيطرة الأنا على الإنسان . لكن هؤلاء الشعراء خيول رهان في مستواهم وشهرتهم واتصالهم ، واشتهر موضوعهم الهجاء . في حين أن النقد تشعب في مجالات اللغة وأغراض الشعر المتعددة .

ففي الغزل مثلاً عندما اجتمع عمر بن أبي ربيعة ، وجميل بن معمر العذري ، وقد اجتمعا بالأبطح ، فأنشد جميل قصيدته التي قال فيها :

لقد فَرِحَ الواشون أن صرَمتْ حَبْلي   بثينةُ أو أبدَتْ لنا جانبَ البُخلِ
يقولونَ مهلاً يا جميلُ وأنّني   لأقسمُ ما لي عن بثينة مِنْ مهلِ

حتى أتى على آخرها ثم قال : يا أبا الخطاب هل قلت في الروي شيئاً ؟ قال : نعم قال فأنشد فيه فأنشده أبياتاً من قصيدته التي مطلعها :

جرى ناصحٌ بالود بيني وبينها   فقربني يومَ الحساب إلى قتلي

فقال جميل : (هيهات يا أبا الخطاب ، لا أقول والله مثل هذا سجين الليالي والله ما خطب النساء مخاطبتك أحد ، وقام مشمراً (16) .

وقيل لجرير : أيكما أشعر : أنت في قولك :

حي الغداة برامة الإطلالا   رسماً تحمل أهله فأحالا

أم الأحطل في قوله :

كذبتك عينك أم رأيت بواسط   غلس الظلام من الرباب خيالا

فقال هو أشعر مني ، غير أن قلت في قصيدتي بيتاً لو أن الأفاعي نهشت استاهم ما حكوه بعده وهو :

والتغلبي إذا تنحنح للقرى   حك استه وتمثل الأمثالاً (17)

وكأن المفاضلة مفروضة ينبغي التسليم لها ، لانعدام القواعد العلمية في المفاضلة . وما يتصل بصدق التعبير ما رواه حماد الرواية قائلاً :

سألت الفرزدق : أي الشعراء أشعر في أشياء ثلاثة مختلفة ؟ وأيهم أصدق بيت في الجاهلية ؟ قال : أصدق بيت قول امرئ القيس :

الله انجح ما طلبت به   والبر خير حقيبة الرجل

قلت : فمن كان منهم أحسن تشبيهاً وأصدقهم فيه ؟ قال : الذي يقول :

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

قلت : فأي العرب كان أفخر في الجاهلية ؟ قال : الذي يقول :

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ، ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي (18)

ويعلق الدكتور المطلبي : ((ولا يخطئ الناقد ما تتسم به هذه الأبيات من التعبير الصادق سواءً فيما يحمل البيت الأول من حكمة صائبة هي خلاصة التجارب ... أم دقة البيت الثاني في نقل صورة واقعية نقلاً فنياً أميناً ، أم البيتين الآخرين ... فصدق التعبير الذي لا ادعاء فيه ولا تزييف معيار الفرزدق ، في تفضيله لامرئ القيس على الشعراء وهو معيار فني في التقدير سواء كان التعبير يتضمن حكمة أم صورة واقعية أم فخراً وسلوكاً خلقياً))(19) .

أما التأليف في مجال النقد والمفاضلة بين الشعراء فأول من أقدمَ عليه ، مما وصل إلينا خبره محمد بن سلام الجمحي (ت 232) في كتابه طبقات فحول الشعراء . وابن سلام جدير للتصدي لهذا الميدان العسير ، فهو راوية وعالم بالشعر ، وله ثقافة واسعة وإحاطة شاملة باللغة وآدابها ، واهتم بالمفاضلة بين الشعراء ، وكتابه في هذا المجال ذو شهرة واسعة طاغية . فذكر طبقات شعراء الجاهلية عشر طبقات ، في كل طبقة أربعة شعراء ، زيادة على طبقات أصحاب المراثي ، والقرى العربية ، وطبقة شعراء اليهود ، ثم جعل شعراء الإسلام إلى أواخر العصر الأموي في عشر طبقات أخرى أيضاً.

والجميع في هذه الطبقات هم من الفحول ، لأن الفحولة هي الأساس الذي اتبعه ابن سلام . بل اقتصر كما يصرح هو في كتابه على الفحول المشهورين ، عندما ذكر الشعراء الجاهليين . لكنه جعلهم في طبقات ، حسب مواصفات كثيرة منها الإجادة في نظم الشعر أو الكم الشعري ، أو تعدد الأغراض ، أو اللين ، أو المكان ، كل ذلك بعد تنقيته للشعر من الزيف ، وقد جاء كتابه بأسلوب رائع ورصين ، ونقل بأمانة أقوال النقاد مرتبة ومنسقة . فيعد بحق الرائد في مجال المفاضلة الشعرية .

وقد حفل تاريخ النقد العربي القديم ، بقضاة يحتكم إليهم الشعراء ، وكانت أحكامهم فيصلاً بين المتخاصمين أو المتنافسين .

وقد أشرنا إلى حكومة النابغة وأم جندب ، وأشرنا إلى بعض الآراء في العصور التالية لعصر ما قبل الإسلام .

– واستكمالاً وتأطيراً للموضوع – روى أبو زيد أن المدائني حدثه أن أوس بن مغراء والنابغة الجعدي ، اجتمعا في المربد فتنافرا ، وحضرهما العجاج والأخطل وكعب بن جعيل فقال أوس:

لما رأت جعدة منا ورداً ولوا نعاماً في البلاد رُبدا
أن لنا عليكم معدّا كاهلها وركنها الاشدّا

فقال الحجاج كل امرئ يعدو بما استعدا .

وقال الأخطل يعين أوس بن معزاء ويحكم له :

وإني لقاضـــي بـــين جعـــدٍ وعـــامر   وســـعدٍ قضـــاءً بـــين الحـــق فيصـــلا

أبـــو جعـــدة الـــذئب الخبيـــث طعامُـــهُ   وعـــوف بـــن كعـــب أكـــرم النـــاس أولا

وقال كعب بن جعيل ، وفيه من البذاءة ما لا تألفه لغة القضاة :

أنـــي لقـــاض قضـــاء ســـوف يتبعـــه   مَـــنْ أمَّ قصـــداً ولـــم يعـــدل إلـــى أودِ

فصـــلاًَ مـــن القـــول تـــأتم القضـــاة بـــه   ولا أجـــور ولا ابغـــي علـــى أحـــدِ

د.. بنـــو عـــامر ســـعداً وشـــاعرها   كمـــا د.. بنـــو ســـعد بنـــي أســـد [20]

وروى أبو يحيى الضبي أن الفرزدق وجريراً والأخطل اجتمعوا ((عند بشر بن مروان ، وكان يغري بين الشعراء ، فقال للأخطل : أحكم بين الفرزدق وجرير فقال : أعفني أيها الأمير قال : احكم بينهما . فأستعفاه بجهده ، فأبى ألا أن يقول ، فقال : هذا حكم مشؤوم . ثم قال : الفرزدق ينحت من صخر ، وجرير يغرف من بحر ، فلم يرض جرير بذلك ، وكان سبب الهجاء بينهما فقال جرير في حكومته :

يـــاذا الغبـــاوة إن بشـــراً قـــد قضـــى   أن لا تجـــوز حكومـــة النشـــوان

فـــدعوا الحكومـــة لســـتم مـــن أهلهـــا   إن الحكومـــة فـــي بنـــي شـــيبان [21]

ثم جاء ابن قتيبة (ت 276) في كتابه الشعر والشعراء وذكر في مقدمة كتابه الهدف ، وهو الأخبار عن الشعراء وزمانهم ومنزلتهم ، واقتصر على الشعراء المشهورين الذين يحتج بأشعارهم ، ثم تطرق إلى المواصفات الشعرية ونقد الشعر . ثم جاء أبو العباس ثعلب (ت – 310) في كتابه نقد الشعر ، الذي تناول النصوص والحكم عليها . وابن طباطبا العلوي (ت – 322) في كتابه عيار الشعر . والآمدي (ت – 370) وكتابه الموازنة بين أبي تمام والبحتري .

وكذلك جهابذة العلماء في اللغة ، الذين خلقتهم الحياة الإسلامية وكانوا على مستوى رفيع في الذهنية والخلق والإخلاص ، فخدموا الشعر ، لخدمة الإسلام ، فكانوا يعدون نقد الشعر والشعراء صناعة ((يقول الأصمعي : زهير والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر ، لأنهم نقحوه ، ولم يذهبوا به مذهب المطبوعين . وما كان يقوله أبو عبيدة : طفيل والنابغة والجعدي وأبو داود الأيادي أعلم العرب بالخيل وأوصفهم لها))[22] حتى توسعت الأحكام باتجاهات مختلفة ، الأعراب والضبط والقوافي والمعنى ، وبنية الكلمات ، والعروض ، ورشاقة العبارة والجمال ... ثم اللحن ، والإقواء ، والأكفاء ، والتضمين ... وغير ذلك كثير من عيوب الشعر ، ثم المفاضلة بين الشعر والشعراء . جزاهم الله عن لغة القرآن في كل حرف ثواباً .

ب – إشكالية المصطلح :

مع تعدد المصطلحات ، لكنها ظلت ، واضحة المعالم والمقاصد ، هادية ومرشدة كصارية الطريق . ولكن دفعاً لأي توهم حول المفاضلة ، نشير إلى مفهوم مصطلحي :

1- الموازنة :

إن اعتماد طبقات ابن سلام بوصفها أساساً للمفاضلة ، ترسم لنا خطاً مستقيماً تجاه الهدف الذي نسعى لتحقيقه . وإلا فالموازنة تأتي للتوضيح ، والموازنة نفسها هناك من يرويها عن أم جندب ، وموازنتها بين امرئ القيس ، وعلقمة في وصف الفرس .

وكان ابن سلام يقابل بين مدرسة الحطيئة وكعب بن زهير ، مقابل مدرسة الشماخ . ثم اتضح المفهوم في الموازنة بين بشار بن برد ومروان بن أبي حفص ، وبين مسلم بن الوليد وأبي العتاهية ، ثم بين أبي تمام والبحتري ، وبين المتنبي وخصومه .

وإذا كان ابن سلام في موازنته يرجع إلى كثرة الشعر وجودته فإن الموازنة عند ابن قتيبة في اختياره لكل شاعر ما يراه جيداً وتقسيماته الأربعة ، والشعراء إلى مطبوعين ومتكلفين . أما الأمدي فكان يستنبط المعاني ، ثم يقارن بين الشاعرين ، وبين ما قالاه مع غيرهما من الشعراء ، وهي موازنة منهجية ، من حيث المفاضلة واستنباط الخصائص ، وبذلك يَعدُ أحمد الشايب أن موازنة الآمدي ، ظلت هي الوحيدة من نوعها ، وأما القاضي الجرجاني في كتابه الوساطة ، فقد عزا النبوغ في الشعر إلى الطبع والرواية والدرية ووازن على هذا الأساس بين القدماء والمحدثين (23) .

والموازنة تكون بين شاعرين في غرض محدد ، وليس بالضرورة أن يطلق الناقد حكماً بالأفضلية ، كما فعل الآمدي في موازنته بين الطائين ، أنما اعتمد مقاييس عدة في الموازنة بينها ، على أساس التعقيد والإفراط ، والسرقة .

أما المفاضلة فتقوم على أساس ما يوحي به النص المقارن . فمفهوم الموازنة غير المفاضلة ، للتخصص في الموازنة بتفاصيل كثيرة كما نجد عند المبرد (ت – 285) في كتابه الكامل موازنة لطيفة ، فيفضل التشبيه لخوذ الحديد بالبيض على شاعر آخر لا يجيد التشبيه عندما شبهها بلمعان الشمس (24) . في حين نقرأ تحت عنوان الموازنة عند ناقد حديث ما يأتي : ((الموازنة : مثل قول كثير :

تقـــول مرضـــنا ومـــا عـــدتنا   وكيـــف يعـــودُ مـــريضٌ مريضـــاً

وازن في القسم الأخيرة قول نابغة بني تغلب :

بخلنـــا لبخلـــكِ قَـــدْ تعلمـــين   وكيـــف يعيـــب بخـــيلاً بخـــيلا ؟))(25)

والموازنة على أية حال عند علماء اللغة ، ومن وزن الشيء يزنه وزناً وزنة وفي اللسان وازنت الشيئين موازنة ووزاناً . والموازنة عند الدكتور أحمد مطلوب هي المفاضلة بين شاعرين أو أكثر أو كتابين ، أو عملين أدبيين أو أكثر للوصول إلى حكم نقدي . ثم يستعرض كتاب الآمدي في الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، ويستخلص الدكتور مطلوب ، لتوصل الآمدي إلى الموازنة والحكم على الشاعرين ، وكان عمود الشعر منطلقه في إصدار الأحكام النقدية ، إلى جانب ذوقه الرفيع ، ثم يأتي إلى منهج الخطابي في الموازنة ، والجرجاني . ويقف عند ابن الأثير وقد سمى الموازنة مفاضلة .

والمفاضلة بين الشعراء غير محددة ... فتكون المفاضلة مجازية ، لأن الأقوال لا تكال بالقفزان .. فربَّ بيتٍ واحد يعدل مائة بيت ... وليست الموازنة إلا سبيلاً إلى المفاضلة [26] .

2- المقايسة :

وهي كما يستخلصها الدكتور أحمد مطلوب : النظر إلى شعر شاعر من خلال شاعر آخر ، أو شعر آخرين ، ويعتمد في هذا الأمر على رأي القاضي الجرجاني في الوساطة ، الذي اتخذ (المقايسة ، منهجاً في نقده . ويعلق الأستاذ مطلوب : ولم يوفق كل التوفيق لأنه اتخذ من عمود الشعر منطلقاً في النقد والتقويم ، وقد انتهى الجرجاني إلى أن عمود الشعر لا ينظر إليه بالجدل والمقايسة ، بعد أن كانت المقايسة مقياسه [27] . والقراءة المتأنية لمقولة الجرجاني تحدد إطار المقايسة ((وأنت قد ترى الصورة ، تستكمل شرائط الحسن ، وتستوفي أوصاف الكمال ، وتذهب في النفس كل مذهب ، وتقف من التمام بكل طريق ، ثم تجد أخرى دونها في انتظام المحاسن ، والتئام الخلقة . وتناصف الأجزاء وتقابل الأقسام ، وهي أحظى بالحلاوة ، وأدنى إلى القبول وأعلق بالنفس ، وأسرع ممازجة للقلب ، ثم لا تعلم – وأن قايست واعتبرت ، ونظرت وفكرت – لهذه المزية سبباً ، ولما خُصّت به مقتضياً))[28] فيحدد مفهوم المصطلح الذي يواجهنا . وفي المقايسة النقدية ، التي ينقلها الدكتور رميض والتي أنكروا على البحتري قوله :

يخفى الزُّجاجَةَ لونُها فكأنَّها   في الكفِّ قائمةً بغيرِ أناءِ

يقول الآمدي : وقالوا : لو مليء الإناء دبساً لكانت هذه حالة ، والمعنى الوصف على شعاع الشراب في غاية الغلبة ، وأن الكأس غاية الرقة . وقد سبقه علي بن جبلة إلى هذا المعنى قائلاً :

كأن يَدَ النديم تدير منها   شعاعاً لا تُحيطُ عَلَيه كأسُ

ويستدرك صاحب البحتري قائلاً : فإنما قصد إلى وصف هيأة الشراب في الإناء ، ولم يقصد إلى وصف الشراب خاصة ، ولا إلى الإناء ، كما ادعيتم ولو أراد وصف الإناء لكان مصيباً ، لأن الزجاجة أيضاً يوصف ما فيها ، وتقع المبالغة في نعتها ... فالزجاجة إذا رقت وصفت وسلمت من الكدر اشتد صفاؤها وبريقها ، فإذا وقع فيها الشراب الرقيق اتصل الشعاعان ، وامتزج الضوءان، فلم تكد الزجاجة تتبين للناظر))[29] . وبهذا فإن مصطلح المقايسة أقل إشكالية من مصطلح الموازنة تجاه المفاضلة .

المبحث الأول
المفاضلة ومقياس الإجادة

لقد اعتمد ابن سلام على (الفحولة) في الأساس الأول ، واقتصر في كتابه على فحول الشعراء ، ويرى الأستاذ طه أحمد إبراهيم أن كتاب ابن سلام ((خلاصة ما قيل إلى عهده في أشعار الجاهلية والإسلام))(30) . ويرى د. أحسان عباس أنه إعادة صياغة للنظريات التي تلقاها ابن سلام عن أساتذته وتوسيع لبعض أفكار الأصمعي مثل فكرة (الفحولة)(31) . وهذا المعنى العام يتطلب في المقدمة الإجادة في الشعر والشهرة فيه .

ففي مجال تفضيل النابغة مثلاً ، يذكر ابن سلام من أقوال من يحتج له : ((كان أحسنهم ديباجة شعر ، وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلهم بيتاً ، كأن شعره كلامٌ ليس فيه تكلف ، والمنطق على المتكلم أوسع منه على الشاعر ، والشعر يحتاج إلى البناء والعروض والقوافي ، والمتكلم مطلقٌ يتخير الكلام ، وإنما نبغ بالشعر بعدما أسن واحتنك وهلك قبل أن يهتر))(32) .

لذلك فإن أساس العرض لأبيات رائعة ، يرددها الناس فتبقى ذكراً حياً للشاعر ، وهي دليل حق وشاهد صدق للجودة . ومن الآراء النقدية للأمام علي ﷺ ، يدلنا نظر دقيق ومدى استحسانه للجودة في النظم ، عندما سئل عن رأيه في أي الشعراء أفضل ، قال : ((كل شعرائكم محسن ولو جمعهم زمان واحد وغاية واحدة ومذهب واحد في القول لعلمنا أيهم أسبق إلى ذلك ، وكلهم قد أصاب الذي أراد وأحسن ، وأن يكن أحد فضلهم فالذي لم يقل رغبة ولا رهبة امرؤ القيس ابن حجر فإنه كان أصحهم بادرة واجودهم نادرة))(33) .

فقد أكد الأمام علي ﷺ ، عنصر الإجادة ، لذلك جاءت الشواهد النقدية مصداقاً لما قاله الأمام علي عليه السلام ((كل شعرائكم محسن فالشماخ شاعر في إجادته تصويره قوسه الجيدة ، وامرؤ القيس أشعر العرب في وصفه لطول الليل وثقله ، وضابئ البرجمي أشعر الشعراء في تصويره للموت))(34) .

من جانب آخر بدأ النقاد يرصدون عيوب الشعر ، التي نقلها ابن سلام عن يونس وهي : ((الزحاف ، والسناد ، والإقواء ، والإبطاء ، والإكفاء هو الإقواء . والزحاف أهونها ، وهو أن ينقص الجزء عن سائر الأجزاء ، فينكره السمع ويثقل على اللسان ، وهو في ذلك جائز ، لأجزاء مختلفة))(35) . وبذلك مهدوا بعوامل أبراز الشعر الجيد ، عندما يخلو من أمثال هذه العيوب ، فعندما يذكرون نموذجاً جيداً فهو خلو من هذه العيوب ، وفي الطبقات أن ((قدامة بن موسى ، كان يقدم زهيراً . قلنا: فأيُّ شعره كان أعجب إليه ؟ قال التي يقول فيها :

قد جعل المبتغون الخير في هرمٍ   والسائلون إلى أبوابه طُرقا
من يلقَ يوماً على علاته هرماً   يلق السماحةَ منه والندى خُلقا (36)

نريد القول إن الجودة التي تفرض نفسها في الميدان ، خالصة ، وعند ذلك أيضاً تفرض نفسها في التقييم والمفاضلة .

وفي ضوء طبقية ابن سلام نأخذ الطبقة الثالثة مثالاً ، وفيها الشعراء الفحول الأربعة حسب المفاضلة لابن سلام :

1- النابغة الجعدي .
2- أبو ذؤيب الهذلي .
3- الشماخ بن ضرار .
4- لبيد بن ربيعة .

وغني عن البيان لو أن أحد هؤلاء امتاز بالكم الشعري وتعدد الأغراض، على حساب الإجادة ، لما جعله في هذه الطبقة المتميزة فنبقى مع ابن سلام في هذه الطبقة :

1- كان النابغة قديماً ، شاعراً مغلقاً ، طويل البقاء في الجاهلية والإسلام كان الأصمعي ينسبه إلى قلة التكلف ، فيقول عنه : خمّارٌ بواقٍ ومطرف بآلاف:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ   يبنون من دون سيله العرما

قال يونس : كان الجعدي أوصف الناس لفرس أنشدت قوله رؤبة :

فإن صدقوا قالوا : جواد مجربٌ   ضليع ومن خير الجياد ضليفها

وتزوج النابغة امرأةً من بني المجنون فنازعته ، وادعت الطلاق ، فكان يراها في منامه ، فمثل :

مالي وما لابنة المجنون تطرقني   بالليل ؟ إن نهاري منكِ يكفيني

2- وكان أبو ذؤيب شاعراً فحلاً . لا غميزة فيه ولا وهن . قال أبو عمرو بن العلاء . سئل حسان : من أشعر الناس ؟ قال حيّاً [من الحي : المنطقة] أو رجلاً : قال : حيّاً . قال أشعر الناس حيّا هذيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب قال ابن سلام هذا ليس من قول أبي عمرو ونحن نقوله . وقال كثير ابن إسحق عن أبي ذؤيب : كثير الغريب متمكن في الشعر .

3- وكان للشماخ أشعار وشهرة ، يقول يرثي عمر بن الخطاب ﷺ :

جزى الله خيراً من أميرٍ وباركتْ   يد الله من ذاك الأديم الممزقِ

4- وكان لبيد بن ربيعة ، أبو عقيل فارساً شاعراً شجاعاً . وكان عذب المنطق ، رقيق حواشي الكلام ، وكان مسلماً رَجُلَ صدقٍ . عندما كتب عمر ﷺ إلى عامله أن سل لبيداً والأغلب ، ما أحدثا من الشعر في الإسلام فقال الأغلب :

أرجزاً سألت أم قصيداً ؟   فقد سألت هيناً موجودا

وقال لبيد : قد ابدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران فزاد عمر في عطائه ... وكان لبيد في الجاهلية خير شاعر لقومه ، يمدحهم ويرثيهم ، ويعد أيامهم ووقائعهم وفرسانهم ، وكان يطعم ما هبت الصبا ، وكان المغيرة بن شعبة إذا هبت الصبا ، قال : أعينوا أبا عقيل على مروءته))[37] .

ويخلص الباحث في هذه الجولة مع ... التسليم للإجادة في الشعر ، هي التي سببت الشهر للشاعر . فاحتلوا هذه الطبقة المميزة في تاريخ الشعر العربي .

نعم فجودة الشعر ، وقوة التأثير لاجتماع نقاط القوة والاستحسان فيه ، بشهادة أعلام كبار من علية القوم وسادتهم ، سببٌ للمفاضلة الشعرية . فلما قال الشاعر حسان للحارث بن عوف بن أبي حارثة المريِّ :

وأمانَـــــةُ المـــــريِّ حيـــــث لقيتـــــه مثـــــل الزجاجـــةِ صـــدعها لـــم يجبَـــرِ

قال الحارث يا محمد ، أجرني من شعر حسان ، فوالله لو مزج به ماء البحر لمزجه [38] . وقد مر ذكر ذلك .

فالشاعر القوي الذي وصفه الأمام علي بن أبي طالب ﷺ ((الذي أحسن الوصف ، وأحكم الرصف ، وقال الحق))[39] .

التنافس في الإجادة :

وإذا كان مفهوم الجودة المانع الجامع سبباً لشهرة الشاعر في الافاق على ما وقفنا عليه في العصر الجاهلي ، كذلك فإن المقدرة الفائقة والموهبة المتقدة لإنتاج الشعر الجيد ، رفعت مجموعة من الشعراء ليحتلوا الطبقة الأولى في طبقية ابن سلام لفحول الشعراء في العصر الإسلامي .

والشعراء الأربعة الذين ذكرهم ابن سلام في الطبقة الأولى من فحول الشعراء الإسلاميين هم :

1- جرير .
2- الفرزدق .
3- الأخطل .
4- راعي الإبل (عبيد بن حصين) ، وراعي الإبل لكثرة وصفه للإبل وحسن نعته لها . فقالوا ما هذا إلا راعٍ الإبل . فلزمته .

ونرافق ابن سلام في تسليطه الضوء على هؤلاء ، في أطار هذه الطبقة العليا إذ يقول : ((اختلف الناس فيهم أشد الاختلاف وأكثره . وعامة الاختلاف أو كله في الثلاثة . سمعت يونس يقول : ما شهدت مشهداً قط ذكر فيه جرير والفرزدق فأجمع أهل ذلك المجلس على أحدهما ... جرير يقول : نبعة الشعر الفرزدق ... وقال ابن دأب : الفرزدق أشعر عامةً ، وجرير أشعر خاصة .

قال العلاء بن حريز العنبري كان يقال : الأخطلُ إذا لم يجئ سابقاً فهو سُكَّيْتُ ، والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سكيتاً فهو بمنزلة المِصَلىّ . وجرير يجيء سابقاً وسكيتاً ومصلياً .

قال ابن سلام وتأويل قوله : لأن للأخطل خمساً أو ستاً أو سبعاً طوال روائع غرراً جياداً . وهو بهن سابق ، وسائر شعره دون أشعارهما . فهو فيما بقى بمنزلة السكيت . والسكيت أخر الخيل في الرهان . ويقال : أن الفرزدق دونه في هذه الروائع ، وفوقه في بقية شعره فهو كالمصلي أبداً . والمصلي الذي يجئ بعد السابق وقبل السكيت . وجرير له روائع هو بهن سابق ، واوساطٌ هو بهن مْصَلٍ وسفسافات هو بهن سكيت [40] . حقاً كخيول الرهان عند خط النهاية ، والجودة هي الشعرة الأخيرة في المفاضلة ، مع أنهم جميعاً من الفحول . فقد كان جرير يحسن ضروباً من الشعر لا يحسنها الفرزدق . فيقول ابن سلام ((وأهل البادية والشعراء بشعر جرير أعجب))[41] ولأن الجودة واستحسان الشعر من أبرز السمات للمفاضلة بين الشعراء ، ظل هؤلاء الثلاثة على مدى أربعين عاماً يتربعون على القمة بلا منازع أو مدافع ، وكانوا في حذر شديد ويقظة دائمة للتصدي فيما بينهم في ظاهرة فريدة لن تتكرر بمستواها الفني الرائع في الهجاء ، فيذكر ابن سلام قال مسلمة بن محارب كان الفرزدق عند أبي في مشربةٍ له فدخل رجل فقال وردت اليومَ المربد قصيدة لجرير تناشدها الناس . فانتقع لون الفرزدق ، قال : ليست فيك يا أبا فراس ! قال : ففيمن ؟ قال : في أبي لجأ القيمي . قال : افحفظت منها شيئاً ؟ قال : نعم . علقت منها بيتين . قال : ما هما ؟ قال :

لئن عَمِرَتْ تيمٌ زماناً بغرّةٍ لقد حُدِيتْ تيمٌ حداءً عصبصبا

فلا يضغمنَّ اللبثُ عُكلاً بغرةٍ وعكلٌ يشمون الفريس المنيبا

فقال الفرزدق : قاتله الله ، إذ أخذ هذا المأخذ لا يقام له .

فكان الفرزدق يتضور ويجزع إذا أُنشد لجرير ، وكان جريرٌ أصبرهما . ويضيف ابن سلام سألت الأسيدي عنهما فقال : بيوت الشعر أربعة فخر ومديح ونسيب وهجاء ، وفي كلها غُلِّبَ جرير . في الفخر قوله :

إذا غَضْبَتْ عليكَ بنو تميمٍ حسبتَ الناسَ كلهمُ غضابا

وفي المدح قوله :

أَلَسْتُم خيرَ من ركبَ المطايا وأندى العالمين بطون راحِ

وفي الهجاء قوله :

فغض الطرفّ أنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

وفي النسيب قوله :

إن العيـــون التـــي فـــي طرفهـــا مـــرض قتلننـــا ثـــم لـــم يحيـــين قتلانـــا (42)

والأخطل ثالث الثلاثة فلما بلغه تهاجي جرير والفرزدق قال لابنه مالك : انحدر إلى العراق حتى تسمع منهما ، وتأتيني بخبرهما . قال فلقيهما . ثم استمع ، فأتى أباه فقال : جرير يغرف من بحر والفرزدق ينحت من صخر . فقال الأخطل : فجريرٌ أشعرهما ثم قال :

إنـــي قضـــيت قضـــاءً غيـــر ذي جنـــفٍ لمَّـــا ســـمعتُ ولمـــا جـــائني الخبـــرُ

أن الفـــــرزدق قـــــد شـــــالت نعامتُـــــهُ وعضـــــه حيَّـــــةُ مـــــن قومـــــه ذكـــــرُ (43)

فدخل حلقة المنافسة واحتل التسلسل الثالث في الطبقة الأولى من فحول الإسلاميين ، وماذا بعد ذلك يا أخطل ؟

نعم فالجودة مقياس للمفاضلة بين الشعراء وظلت كذلك فيما بعد ، لتفاصيل الشعر . فكان الأخفش يطعن على بشار قوله :

والآن أقصـــر عـــن سُـــميَّة بـــاطلي وأشـــار بـــالوجلى علـــيَّ مُشِـــيرُ

أراد به التقوى ، أي نصحني ناصح بالخوف من الله ، وأراد أنه لما أقصر عن الشتيمة لمزه من يلمزه . وأعاب عليه أبياتاً أخرى . فبلغ ذلك بشاراً فقال : دعوني وإياه ، فبلغ ذلك الأخفش فبكى . فقيل له ما يبكيك ، قال : وقعت في لسان الأعمى ، فذهب أصحابه إلى بشار ، فكذبوا عنه ، وسألوه أن لا يهجوه فقال : وهبته للؤم عرضه (44) . والشعراء يعرفون المفاضلة على الجودة ، فكانت لهم بعض المواقـــف مـــن الشـــعر الـــذي لا يناســـب مكـــانتهم ، ومـــن ذلـــك عنـــدما قيـــل لبشار : يا أبا معاذ أنك لتجيء بالأمر المهجن ، قال وما ذاك ؟ قيل إنك تقول :

إذا مـــا غضـــبنا غضـــبة مضـــريةً هتكنـــا حجـــابَ الشـــمس أو مطـــرت دمـــا

إذا مـــا أعرنـــا ســـيداً مـــن قبيلـــة ذرى منبـــر صـــلى علينـــا وســـلما

ثم تقول :

ربابـــــة ربـــــة البيـــــت تصـــــب الخـــــل فـــــي الزيـــــت

لهـــــا عشـــــر دجاجـــــات وديـــــك حســـــن الصـــــوت

فقال : كل شيء في موضعه ، وربابة هذه جارية لي ، فهي تجمع عليَّ البيض وتحضره لي . فكان هذا من قولي أحب إليها وأحسن عندها من (قفا نبك من ذكرى حسب ومنزل)(45) . فالشاعر على وعي تام بمتطلبات الجودة ولكن لكل مقام مقال ، وفي الوقت نفسه أشار إلى شطر البيت لامرئ القيس على أنه دليل الجودة المثالية ، التي أصاب ابن سلام عندما وضعه في القمة بلا مدافع .

يقول أبو تمام يصف قصيدة :

شـــداد الأســـر ســـالمة النـــواحي مـــن الإقـــواء فيهـــا والســـناد

منزهـــةٌ عـــن الســـرفِ المُـــررى؟!! مكرمـــةٌ عـــن المعنـــى المعـــادِ [46]

فالجودة تعلو ولا يعلى عليها ، فيقول المرزباني : ((وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيباً))[47] ، وفي العبارة يعني أنه جيد ، فكان خالداً ، وليس كل القديم ، وإنما الجيد منه للأسباب المجتمعة ، وكما يقول ابن قتيبة ((ليس كل الشعر يختار ويحفظ على جودة اللفظ والمعنى ولكنه قد يختار ويحفظ على أسباب منها الإصابة في التشبيه))[48] وغير ذلك من سمات تجعل الشعر يوصف بالجودة ، ويتخذهما النقاد سبباً للمفاضلة بين الشعراء .

المبحث الثاني
المفاضلة ومقياس الكم الشعري

كان ابن سلام يقدم الشاعر ويؤخر الآخر لمعيارين هما الكثرة والجودة ولعل أفضل مدخل لهذا المقياس في المفاضلة ، أن ندخل الطبقة الرابعة من فحول الشعراء الجاهلين فيقول ابن سلام : ((هم أربعة رهط فحول شعراء ، موضعهم مع الأوائل ، وإنما أخلَّ بهم (قلَّة شعرهم) بأيدي الرواة :

1- طرفة بن العبد .
2- وعبيد بن الأبرص .
3- وعلقمة بن عبده .
4- وعدي بن زيد .

1- فأما طرفة فأشعر الناس واحدةً وهو قوله :

لخولـــة أطـــلالٌ ببرقـــة ثهمـــدِ وقفـت بهـا أبكـي وأبكـي إلـى الغَـدِ

وتليها أخرى مثلها وهي :

اصـحوتَ اليـومَ أم شـاقتك هـرّ ومـن الحـبِّ جنـونٌ مسـتَقرِ

ومن بعد له قصائد حسانٌ جياد .

2- وعبيد بن الأبرص : قديم عظيم الذكر ، عظيم الشهرة ، وشعره مضطرب ذاهبٌ لا أعرف له إلا قوله :

أقفـرَ مـن أهلـهِ ملحـوبُ؟!! فالقطبيَّـاتُ فالـذنوبُ

ولا أدري ما بعد ذلك .

3- وعلقمة بن عبدة ، وهو علقمة الفحل . ولابن عبدة ثلاث روائع جيادٌ لا يفوقُهُن شِعر :

ذهبـتَ مـن الهجـران فـي كـل مـذهب ولـمْ يَـك حقـاً كـلُّ هـذا التجنـبِ

والثانية :

طحـا بـكَ قلـبٌ فـي الحسـان طـروبُ بُعَيـدْ الشـبابِ عصـر حـان شـيبُ

والثالثة :

هـل مـا علمـتَ ومـا اسـتودعت مكتُـومُ أم حَبْلُهـا إذ نأتـكَ اليـومَ مصـرومُ

4- عدي بن زيد : وله أربع قصائد غرر روائع مبرزات ، وله بعدهن شعر حسن :

أتعـرف رسـم الـدار مـن أمِّ معبـدِ ؟ نعـم فرمـاك الشـوق قبـل التجلّـدِ

وقوله :

لــــيس شـــــيء علــــى المنــــون ببــــاقٍ   غيــــرُ وجـــــهِ المســـــبَّحِ الخـــــلاقِ))[49]

تلك إذن مجموعات القصائد ، أقل من أصابع اليد الواحدة ، مع ما تتمتع به من مستوى رفيع في الجودة ، لهؤلاء الشعراء الأربعة ، فبسبب الكم الشعري وحده انخفض بهم ابن سلام في طبقاته إلى الطبقة الرابعة . وابن سلام لا يُعنى بما يقال أو ما يضطرب من أخبار الرواة في الشاعر فالذي يعنيه فعلاً هو ما يصل إلى يديه من نتاج شعري .

لأن ابـــن ســـلام مرهـــف الحـــس ، ومـــن العجـــب لم أر أحـــداً يشـــير إلى مثـــل ذلك ، فكأنه يقيس صدى مشاعر الناس ومدى اعجابهم بالشاعر ، لذلك عندما نأتي إلى الطبقة الخامسة ، وعند التعليق على الشاعر خداش بن زهير بن ربيعة ينقل ابن سلام قول أبي عمرو بن العلاء : (هو أشعر في قريحة الشعر من لبيد ، وأبى الناس إلا تقدمةَ لبيد) ، وابن سلام من جانبه يذكر نموذجاً من شعر خداش قوله :

نــــامَ الخلـــيُّ ومــــا أُحِـــــسُّ رُقـــادي   والهَـــــمُّ محتضـــــرٌ لـــــديَّ وســــــادي

ويقـــول لاحقـــة بـــأجود الشـــعر ، لـــو كـــان شـــفعها بمثلهـــا قـــدمناه علـــى أهـــل مرتبته . لذلك فإن قاعدة قليل جيد خير من كثير رديء لا مجال لها هنا ، فالكم الشعري مطلوب فضلاً عن الجودة ، الكم الذي يصل فعلاً ، وإلا ينقل ابن سلام عن هذا الشاعر يقول : (ذكر بعض أصحابنا أنه سمع المفضل يقول له ثلاثون ومائة قصيدة ونحن لا نعرف له ذلك ولا قريباً منه)[50] نعم فهو لا يعتد بذلك وإنما ما يصل إليه من قصائد فعلاً ملء السمع وملء البصر . ومن حقك هذا يا ابن سلام . ثم أن المتتبع لهذه الطبقية نزولاً يلاحظ أن الكم الشعري أحد أبرز أسباب هذا النزول . ونلاحظ ذلك بوضوح في الطبقات الثامنة والتاسعة والعاشرة .

فعند الطبقة الثامنة مثلاً ومع الشاعر الأول فيها يذكر عن الشاعر عمرو بن قميئه بن سعد ، كان (شاعراً) فصيحاً جريئاً على المنطق . وكان أبو عمر بن العلاء يسميه : (الكيس) لحسن شعره ، ومنه :

لا تغضــــبنَّ علــــى امــــرئ فــــي مالــــهِ   وعلــــى كــــرائم صُــــلبِ مالــــكَ فاغضَــــبِ
وإذا تُصــــبكَ خصاصــــةٌ فــــارجُ الغنــــى   وإلــــى الــــذي يعطــــي الرغائــــبُ فارغــــبِ [51]

وهكذا نجد عبارات الاستجادة والاستحسان لغاية الطبقة العاشرة الأخيرة إلا أن سبب هذا النزول في الأساس هو قلة ما وصل من شعرهم أو لقلته في الأصل . وإلى ذلك ذهب ((الأصمعي في كتابه (فحولة الشعراء) ، وذلك الأساس قد بناه على الجانب الزمني والكمي . وكان الأصمعي أيضاً

يـرى أن الفحولـة لا تتحقـق بقصـيدة أو عـدد قليـل مـن القصـائد فللكـم أهميـة في تحديـد الفحولة))[52] .

أما ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء فقد ترك المقلين من الشعراء ، وتصدى للمشهورين من الشعراء الذين وصلت أشعارهم كثيرة ومتميزة ومتعددة الأغراض ، الأسبق فالأسبق ، ومن ضوء القواعد التي رسمها في كتابه للحكم على مستوى الشعر . ومهما ارتفعت القصيدة أو القصيدتان من مستوى لا يمكن أن تنافس فحول الشعراء الذين لهم دواوين ولهم القدرة على النظم بجميع الأغراض ، فالكم الشعري يظل أحد المقاييس للمفاضلة بين الشعراء .

المبحث الثالث
المفاضلة ومقياس تعدد الأغراض

فمن تكثر الأغراض في شعره ، بين مواضيع المدح والفخر والهجاء والوصف والأغراض الأخرى ، يتقدم على غيره من الشعراء الذين يقتصرون على غرض أو غرضين . فمتعدد الأغراض يُعد الأقدر والأجدر ، وتبعاً للمواقف والأوضاع المتغيرة والحياة عموماً .

لذلك فإن النقاد يعدون الشعر مطية الشاعر عندما يقول في شتى المواضيع ، فضلاً عن السمات الأخرى من الإجادة والكم الشعري ، كما هو المثال (امرؤ القيس) .

إنها القدرة حقاً ، أن يتمكن الشاعر من الانتقال من غرض إلى آخر ، لأن الشعر عمل ليس باليسير ، بل هو في غاية التعقيد . لذلك يعدون الشعر صناعة ، فقد ذكر الجاحظ أن عمر بن الخطاب ﷺ قال : ((خير صناعات العرب أبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته))[53] فالمدقق بنماذج شعر الفحول يرى صعوبة هذه الصناعة ، ويترتب على هذه الصعوبة قدرة الشاعر الذي يجيد القول في الأغراض المتعددة ، ويعدونه أحد مؤثرات المفاضلة .

فالمقياس الذي يحتذى هو شعراء الطبقة الأولى ، امرؤ القيس والنابغة وزهير والأعشى ، الذين أحسنوا الوقوف عند الإطلال وبكاء الديار ، والمديح والهجاء والغزل ، ووصف الخمر والخيل والليل ، والفخر .

لذلك فإن ابن سلام وهو عالم بالشعر وناقد بصير أحاط باللغة العربية وقد اهتم في المفاضلة بين الشعراء بطريقة علمية ذكية فالصواب عنده أن لا تتحقق الفحولة للشاعر بقصيدة واحدة أو في غرض واحد . فيستشهد بامرئ القيس من الجاهليين فيقول : ((فكان الشعراء من يتأله في جاهليته ، ويتعفف في شعره ، ولا يستبهر بالفواحش ، ولا يتهكم في الهجاء . ومنهم من كان ينعى على نفسه ويتعهر . منهم امرؤ القيس . في قوله :

ومثلك حبلى قد طرقت ومرضعٍ   فألهيتها عن ذي تمائم محولِ

ومن فحول الشعر الإسلامي يذكر الفرزدق الذي امتاز في الهجاء ، إذ نجد له شعراً ربما يرقى إلى شعر امرئ القيس في معنى الاستهتار فيقول :

فلما استوت رجلاي في الأرض نادتا   أحياً يرجى أم قتيلاً نحاذره !
فقلت أرفعوا الأسباب لا يفطنوا بنا :   ووليت في أعجاز ليلٍ أبادره
وأصبحتُ في القوم الجلوس وأصبحت   مغلقةً دوني عليها دساكره

قالها وهو بالمدينة فأنكرت ذلك قريش . فأخرجه والي المدينة عنها [54] .

لذلك فإن تعدد الأغراض ، من السمات التي ترفع الشاعر في القصيدة الواحدة عندما تتعدد فيها الأغراض يكون مسوغاً لتألق القصيدة والإعجاب بها . كما يمتدح ابن سلام امرأ القيس ، بأنه ((سبق العرب إلى أشياء ابتدعها ، واستحسنتها العرب ، واتبعته فيها الشعراء ، استيقاف صحبه ، والبكاء على الديار ، ورقة النسيب ، وقرب المأخذ ، وشبّه النساء بالضباء وشبه الخيل بالعقبان ، والعصي ، وقيد الأوابد ، وأجاد في التشبيه ، وبيّن المعنى ، أحسن طبقته تشبيهاً))[55] .

لذلك فإن إشارة ابن سلام عن الأعشى بقوله : ((هو أكثرهم عروضاً ، وأذهبهم في فنون الشعر ، وأكثرهم طويلة جيدة ، وأكثرهم مدحاً وهجاءً وفخراً ووصفاً كلَّ ذلك عنده))[56] ، يريد أنه متعدد الأغراض فاحتل المكانة الكبيرة في الطبقة الأولى . والمفاضلة ليست يسيرة فينقل ابن سلام : ((قيل لخلف : من أشعر الناس ؟ فقال : ما ننتهي إلى واحد يجتمع عليه ، كما لا يجتمع على أشجع الناس وأخطب الناس ، وأجمل الناس ، قلت فأيهم أعجب إليك يا أبا محرز ؟ قال : الأعشى . قال : أظنه قال كان أجمعهم))[57] .

وتعدد الأغراض مقدرة شعرية ، لأن ((الشعراء بالطبع مختلفون فمنهم من يسهل عليه المديح ، ويتعذر عليه الهجاء ، ومنهم من تسهل عليه المراثي ، ويتعذر عليه الغزل ، وقيل للعجاج أنك لا تحسن الهجاء ، قال لنا أحلامنا تمنعنا من أن نَظْلِم وأحساباً تمنعنا من أن نُظْلَم ، وهل رأيت بانياً لا يحسن أن يهدم)) وليس هذا كما ذكره العجاج ، ولا للمثل الذي ضربه بشكل لأن المديح بناء والهجاء بناء وليس كل بان يضرب بصيراً بغيره ونحن نجد ذلك بعينه في أشعارهم ، فهذا ذو الرمه أحسن الناس تشبيهاً وأجودهم تشبيهاً وأوصفهم لرمل وهاجرة وفلاة وماء وقراد وحية . فإذا صار إلى المديح والهجاء خانه الطبع ، وذلك الذي أخره عن الفحول))[58] وهذا الحكم لابن قتيبة ، الذي يرى أن الإخفاق في غرض من الشعر قد يؤدي إلى تأخر الشاعر أي تعدد الأغراض مقياس للمفاضلة بين الشعراء .

والمفاضلة بين الشعراء الإسلاميين ، وكما مر ذكره في مقياس الإجادة عن جرير وذكر النموذج الرائع ، وفي الأغراض المتعددة هو الذي جعله يحتل المرتبة الأولى متقدماً على الشعراء ، لأن الأخطل كان لا يجيد إلا غرضين اثنين هما المدح والوصف وهذا ما جعله أقل مستوى من الفرزدق وجرير . ومن حق الذي يستطيع أن ينتقل بين المواضيع أن ينال المكان الأرفع بين اقرانه ، ولاسيما مواضيع المديح والهجاء والفخر والوصف ولذلك تأخر ذو الرمة . فانفراد جرير بالنسيب والرثاء دون الفرزدق جعله في منزلة أعلى من الفرزدق .

وجرير والفرزدق والأخطل هم شعراء ظاهرة النقائض . والناظر في قصائد النقائض يجد أن القصيدة تتوافر فيها معظم أغراض الشعر تبدأ بالغزل أو الإطلال أو وصف الخمر ثم المديح أم الفخر ؟ .. والهجاء فيقول الأستاذ شوقي ضيف : ((أصبحت النقيضة لا تحوي فخراً وهجاءً فحسب كما كان

الشأن في القديم ، بل أخذت في بعض قصائدها على الأقل تحوي مديحاً وسياسة عصرية ويقدم الشاعر لذلك كله ببكاء الإطلال ووصف رحلته في الصحراء ، وقد يضيف الأخطل نعتاً للخمر ، وبذلك تشتمل بعض نقائضه على جل فنون الشعر التي عرفت حينئذٍ))[59] فيجعل الأستاذ شوقي ضيف تنوع الأغراض سبباً لتقدم شعراء النقائض وجعلهم من الفحول ؛ لأن النقائض فن جديد كانت له جماهيرية واسعة وكان فناً صعباً استعرض الحياة ، عبر سنوات ، وطبيعة المعيشة وعادات القبائل ، فكانوا شعراء الطبقة الأولى بلا منازع ولعل في مقدمة الأسباب تعدد الأغراض الشعرية لديهم . وهذا ما نجده أيضاً في كتاب الأغاني حيث العناية بالشعراء متعددي الأغراض [60] . وكان للشعراء الثلاثة مكانة أثيرة عند الخلفاء والأمراء، يسامرونهم ويمدحونهم ، ويطلب منهم وصف أشياء معينة بغية المفاضلة بينهم ، لأنهم على مستوى عالٍ من الإبداع والقدرة على النظم في أغراض شتى . ولعل تساؤلاً لطيفاً من أحد الباحثين المحدثين : ((إذا كان تعدد الأغراض يبلغ بصاحبه درجة الفحولة والتقدم على الأقران عند التقييم والمفاضلة ويستر كثيراً من معايبة كما عند الأعشى فما قيمة التخصص بغرض معين من أغراض الشعر والإجادة فيه والإخلاص له ؟)) فلا ينفع لوحده .

من الملاحظ أن تعدد الأغراض يعني القدرة الشعرية وامتلاك أدوات الشعر ومطاوعته في كل حين ، حتى يصبح الشعر حرفة يجيدها صاحبها ، تواتيه القريحة فيها متى شاء وفي أي غرض شاء ، بينما التخصص الشعري هو سيطرة غرض واحد على الشاعر ، يجيد فيه ، ويصدق مع نفسه في شعره ولا يستطيع الخروج عنه إلى غيره ، كتخصص الخنساء بالرثاء وتخصص عمر بن أبي ربيعة بالغزل . فهل يحسب للشاعر الذي تخصص بغرض واحد إجادته في غرضه وإخلاصه له وصدقه فيه فيقارن بأصحاب الأغراض المتعددة [61] .

الجواب بلا النافية طبعاً ، لما وقفنا عليه من وقائع ، فقدم النابغة الأعشى على الخنساء لأنها صاحبة غرض واحد ولم تعد الخنساء في الطبقات المتقدمة على الرغم من إجادتها للرثاء لأنه الغرض الوحيد الذي وافقت عليه قصائدها فكانت مع أصحاب المراثي ، وكذلك لم نجد عمر بن أبي ربيعة في الطبقات الأول مع جودة شعره في الغزل كما شهد له كثير من النقاد ، فقد وصفوه بأوصاف شتى إلا أنه بقي دون الفحولة ، لأن الشاعر لا يشتهر في الأساس إلا بالمديح والهجاء في تلك الحقبة من الزمان ، ولا نسرف بالمبالغة إذا قلنا أن بعض النقاد لا يعد الذي يقتصر على غرض واحد من الشعراء ، بل يعدونه شعراً ذاتياً أملته الظروف الخاصة بهم ، وظلوا في محيطه لا يغادرونه .

لذلك فإن هناك صلة وثيقة بين صناعة الشعر والقدرة على نظمه في شتى الأغراض ، وهذه الصله تأتي بعد جهد كبير من الشاعر، الأمر الذي أشرنا إليه مراراً في أثناء أو سطور هذا البحث منذ البداية ، لأن الأغراض المتعددة لها صلة بالحياة العامة التي لم تقف على غرض واحد . فالمديح – مثلاً – يذكر مواقف الخلفاء والقادة وربما يكون تأريخاً ، بينما الهجاء يحط من قدر أقوام كثيرة

عندما يخزيهم الشاعر بقوله ، وكذلك الرثاء للذين رحلوا عن عالمنا ولهم مكانة في قلوب الناس ، وهكذا الأغراض الأخرى .. التي جعلت مجموعة من الشعراء يحتلون المكانة المميزة . وبغض النظر عن كذب الشعر أو صدقه ، فنحن بصدد المفاضلة على وجه التحديد ، فالشاعر متعدد الأغراض ، تقوده هذه التعددية إلى مكان مرموق في الفحولة .

المبحث الرابع
المفاضلة ومقياس إبداع الصورة

لنا عودة إلى الطبقة الأولى ، فعلماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس . وأهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى . وأهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيراً .

قال قائل للفرزدق من أشعر الناس يا أبا فراس ؟ قال امرؤ القيس. قال :حين يقول ماذا ؟ قال: حين يقول :

وقاهم جُدهمُ ببني أَبيهمْ وبالا شقين ما كان العقابُ
وأفلتهن علباءُ جَريضاً ولو أدركنه صِغر الوطابُ (62)

وهذه أول أشارة تجاه أبداع الصورة التي امتاز بها امرؤ القيس فيذكر ابن سلام : استحسن الناس من تشبيه امرئ القيس :

كأن قلوبَ الطَّير رطباً ويابساً لدى وكرها العنابُ والحشف البالي)) (63)

وهذا من قصيدته التي أولها :

إلا عم صباحاً ايها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي (64)

وهذا البيت نال حظوة كبيرة في نفس الأصمعي (65) ، كما وضعه المبرد ضمن التشبيه المصيب (66) ، وقد أبان عن أعجابه به ، ومعياره في ذلك الإصابة في الوصف وإبداع الصورة ، كما فتن أبا هلال (67) وابن رشيق (68) ، كما نال مكانة في نفس بشار بن برد ، فقال الأخير : ما قر بي قرار مذ سمعت قول امرئ القيس ... حتى وضعت :

كأنَّ مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه (69)

لقد أخذت تلك البراعة والمقدرة الفنية الكامنة عند الشعراء في تجسيد الأشياء وجعلها شاخصة للعيان تستدعي انتباه النقاد ، لذا انطلقوا يفاضلون بين الأبيات الشعرية بحسب قيمتها الجمالية ، فقد فاضل أبو هلال بين بيتي امرئ القيس وبشار ، فأعلن عن تفوق بيت امرئ القيس عن مستواه الرفيع وأصابته الوصف ، ومقاربة التشبيه بين أطرافه (70) .

أما عبد القاهر الجرجاني (71) فيرى خلاف ما يراه أبو هلال فقد أوضح سمو صورة بشار لما امتازت به من حركة وإثارة وتمازج بين عناصرها ، فضلاً عن حسن سبكها .

ثم يستمر ابن سلام في استحسانه شعر امرئ القيس ناقلاً نماذج منه ، قوله :

كأني بفتخاء الجناحين لقوةٍ دَ نُوفٍ من العقبان طأطأت شملالِ

البيت تشبيه لفرسه بالعقاب التي يصفها . ويسوق ابن سلام شواهد من شعر هذا الشاعر الكبير في عروض وقافية لتشكل الأصول الصوتية الخاصة بنماذج الشعر الجاهلي ، الأمر الذي أشار إليه

الدكتور شوقي ضيف بالدهشة والإعجاب عند كتاب وأدباء الغرب بهذا المستوى الموسيقي الرائع مثل جويدي وجب [72] . ولعل الأهم من ذلك ما نحن بصدده وهو (فن التصوير) أو إبداع الصورة وكيف اتخذ منها النقاد مجالاً للمفاضلة بين الشعراء . فنلاحظ أن امرأ القيس احتل المنزلة الأولى لتوافر الكم الشعري وبأغراض متعددة مع الجودة ثم إبداعه في فن التصوير في شعره كأن (التصوير) غاية في نفسه . فالأفكار تتلاحق في صفوف من التشبيهات ، وكأنما القصائد برود يمانية ، ففيها ألوان ونقوش ورسوم ، على صور وأشكال كثيرة ، كأن هذا أصل من أصول صناعتهم ، ومن الصور الرائعة التي أعجب بها النقاد جميعاً أيما إعجاب قوله :

وقد أغتدي ، والطير في وكناتها بمنجردٍ قَيْدِ الأوابدِ هَيْكلِ
مِكَرٍّ مفَرٍ مقبلٍ مدبر معاً كجلمود صَخْر حطه السيلُ من عَلِ
كُميتٍ يَزِلُّ اللبد عن حال متنهِ كما زلَّت الصفواءُ بالمتنزَّلِ
عن الذَّبْل جَيَّاشٍ كأن اهتزامه إذا جاش فيه حميْهُ غلْيُ مِرْجَلِ
مسَحٍّ إذا ما السابحات على الونى أثَرْنَ الغُبَارَ بالكديد المرُكَّلِ
يَزِلُّ الغلامُ الخفُّ عن صهواته ويُلوى بأثواب العنيف المثَقَّلِ
دريرٍ كخذروفِ الوليد أمرَّه تتابُعُ كفَّيه بخيط . موَصَّلِ
له أيطلا ظبي ، وساقا نعامةٍ وإرخاءُ سرحانٍ وتقريب تتفُلِ
كأنَّ على المتنين منه إذا انتحى مداكَ عروس أو صرابة حنظلِ
كأن دماءَ الهاديات بنحره عصارةُ حناءٍ بشيب مُرَجَّلِ [73]

فالتصوير تتراكم وتتزاحم فيه التشبيهات ، في هذا الوصف ، كما يستعرضه شوقي ضيف ، وقد ظهر فيه ضرب من التركيز والإيجاز ، فقوله : قيد الأوابد ، كان القدماء يعجبون بهذه الكلمة ، إذ عبرت بإيجاز بالغ عن سرعة الفرس وحدته في الجري والنشاط ، فهو قيد الأوابد كلما أرادها قيدها ، ولم تستطع إفلاتاً منه ولا فراراً . وهذا الايجاز البالغ يدل على مجهود عنيف كان يقوم به امرؤ القيس حتى يلقى عن شعره كل أطنابٍ فيه . ونحن لا نرتاب في أنه تعب تعباً شديداً قبل أن يجد هذه الكلمة الدقيقة التي تعبر عن تلك الصورة الواسعة . وحقاً أن مثل تلك الكلمة لا يباع في الأسواق ، بل لابد للشاعر من مهارة خاصة حتى يستطيع أن يوفَّق إلى الكلمة التي ينشدها ، وتلك مقدرة الشعراء الممتازين التي بها يتفاضلون . ويستمر امرؤ القيس في الوصف فإذا هو كالصخر في صلابته ، ولا شيء يثبت عليه لسرعته ، بل كل شيء ينزلق عنه كما تنزلق الصخرة عن المطر أو كما ينزلق عنها منْ يريد شأوها . وهو يغلي ويجيش لازدياد عدوه وتوقد نشاطه . وهو فرس سريع لا تقف سرعته عند حد معقول فهو يصبُّ العدو صبًّا ، لا يثير نقعاً ولا غباراً ، وما أشبهه بالخذروف في شدة

دورانه ، وسرعة حركاته وهو يدور في يد الصبية دوراناً يسمع له حفيف شديد . ولا يكتفي بهذه الأوصاف فيعود إلى تشبيه خاصرة الفرس بخاصرة الظبي ، وساقه بساق النعامة ، ثم لا ينسى أن يتحدث عن عَدْوه وسرعة انطلاقه مرة أخرى ، فهو كالذئب أو كالثعلب في الوثب السريع . ثم ينتقل فيقول إنه مكتنز أملس كالحجر يسحقُ عليه الطيب أو كالحنظلة في ملاستها وبريقها ، وقد امتزجت دماء الصيد على صدره كأنها الحناء تمتزج بالشيب . ألا ترى إلى هذه الكثرة الغامرة من الصور والخيالات التي أحكمها امرؤ القيس في تصويره ، وهي كثرة تجعلنا نؤمن بقول النقاد إنه قرَّبَ مأخذ الكلام فقيد الأوابد وإجـــــــــاد الاســـــــــتعارة والتشبيه . وفي هذه المطولة وغيرها من شعر امرئ القيس أمثلة مختلفة للطباق والجناس ، فإن هذا الشعر ينزع به صاحبه إلى ضرب من الجمال في التعبير إذ يملؤه بالصور والتشبيهات ، ويطلب أن يُعجبَ به الناس من حوله وأن يقع منهم موقعاً حسناً ، موقع الثياب الملونة ، أو الثياب اليمنية المنَّمقة (74) .

وكأن الشاعر يحسب حساباً دقيقاً لردة الفعل من الرضا والاستحسان الذي يهدف إليه من هذا التصوير البارع فيسلم القياد إلى القواعد الشعرية في غاية من الذوق الفني الرفيع والموسيقى ، ثم إبداع الصورة . يروى أن الرشيد أرسل بطلب الأصمعي ، وكان معه يحيى بن خالد وجعفر والفضل ، فقال أراني نازعني هؤلاء في أشعر بيت قالته العرب في التشبيه ولم يقع أجماعنا على بيت يكون الأيماء إليه دون غيره ... فقلت ... ولكن أحسن الناس تشبيهاً امرؤ القيس ، قال : في ماذا قلت قوله :

كـأن عيـون الـوحش حـول خبائنـا وارحلنـا الجـزع الـذي لـم يثقـب

وقوله :

كـأن قلـوبَ الطَّيـر رطبـاً ويابسـاً لـدى وكرهـا العنـابُ والحشـف البـالي

وقوله :

سـموت إليهـا بعـد مـا نـام أهلهـا سـمو حبـاب المـاء حـالاً علـى حـال (75)

وبالمعيار نفسه فضّل الأصمعي قول عدي بن الرقاع العاملي :

وكأنهـا بـين النسـاء اعارهـا عينيـه أحـورَ مـن جـاذر جاسـم

وسـنان أقصـده النعـاس فرتفـت فـي عينـه سـنة ولـيس بنـائم

على قول النابغة :

نظـرت إليـك لحاجـة لـم تقضـها نظـر السـقيم إلـى وجـوه العـوّد

والمتأمل لهاتين الصورتين ، يجد تفوق العاملي بها ، وذلك لأن النابغة أضعف صورته بذكر العلة (76) .

ونطالع في البيان والتبيين ما كان من الشعراء من تمكث عنده القصيدة حولاً كاملاً ((يردد فيها نظره ويجيل فيها عقله ، ويقلب فيها رأيه ، اتهاماً لعقله وتتبعاً على نفسه ، فيجعل عقله زماناً على رأيه ، ورأيه عياراً على شعره ، إشفاقاً على أدبه ، وإحرازاً لما خوله الله من نعمته ، وكانوا يسمون تلك القصائد : الحوليات والمقلدات والمنقحات والمحكمات يصير قائلها فحلاً خنذيذاً وشاعراً مغلقاً ... وكان زهير بن أبي سلمى يسمي كبار قصائده الحوليات ، لذلك قال الحطيئة : خير الشعر الحولي المحكك ، وقال الأصمعي : زهير بن أبي سلمى والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر ، وكذلك كل من جوَّدَ في جميع شعره ووقف عند كل بيت قاله ، وأعاد النظر فيه ، حتى يخرج أبيات القصيدة كلها مستوية في الجودة . وكان يقال : لولا أن الشعر قد كان استعبدهم ، واستفرغ مجهودهم ، حتى أدخلهم في باب التكلف وأصحاب الصنعة ، ومن يلتمس قهر الكلام واغتصاب الألفاظ لذهبوا مذهب المطبوعين الذين تأتيهم المعاني سهواً ورهواً))[77] .

وعلى ما تيسر لي من مصادر لم أجد من النقاد من يصف هذا التكلف ، بالمحمود ، فهو مقصود عند الشاعر زيادة على موهبته في الطبع ، لأنه يريد أن يصل بشعره إلى منتهى الجودة ، لذلك فقد اشتهر زهير بالزمن الطويل لإنتاج شعره ويأخذ بالتفكير الدقيق والبحث والتحقيق والتمحيص والتقليب وكأنه يصوغه صياغة ويعمله عملاً . بل كأنه يحاكي مثالاً يحتذي به من المثل الفنية المختلفة . لذلك كان أصحاب الطبقات الأولى من الجاهليين والإسلاميين كل منهم بذل جهده الجبار في هذه الصناعة الشعرية المعقدة فدخلوا تاريخ الشعر على مر العصور من أوسع أبوابه لذلك كنا منذ بداية هذا البحث نتألم ونحن نردد (عفوية الشعر) و(فطرية الأحكام) ، في حين أنها لم تكن على هذا النحو الذي دأب عليه النقاد نلمس التعب الشديد الذي كابدوه لصناعة شعرهم ، وكان الناس من حولهم يتلهفون لسماع شعرهم ويمجدون الشاعر المتفوق ، الأمر الذي يدل على وجود صدى عام عند الناس للشعر ، فهم أمة بيان وكلام . لذلك سموا المهلهل ، لهلهلة شعره ، كما مر ذكره ، وسمي النابغة لنبوغه في شعره [78] ؟

فنستطيع القول إن هذا التكلف ، هو التأكد والتأني والتجريب ، والبحث عن المسوغات والأدوات التي تكفل لشعرهم الفحولة والشهرة ، حتى استطاعوا أن يبلغوا القمة ، من خلال الإبداع في الصورة ، زيادة على الجوانب الأخرى التي ذكرناها مراراً ، كلما تطلب الأمر الإشارة إلى ذلك . فإبداع الصورة يأتي من خلال مقاومة الطبع وعدم تسليم القياد لعفوية الشعر ، لذلك وجدنا كثرة

المحسنات والاعتماد على التصوير المادي ، فهو التصوير سواء عند امرئ القيس كما وقفنا على نموذج من شعره حيث تراكم التشبيهات أو العكس منها عند زهير حيث تتعقد وتتغير ، وزهير يعمد إلى تفصيل الصور وتمثيلها ، في متابعة وتقصٍ دقيق تجعل المنظر يتحرك أمامنا ، فعندما يصف امرأة مثلاً يقول :

تنازعها المها شبهًا ودُرُ النـ ... حور وشاكهتْ فيها الظباءُ
فأما ما فويق العقد منها ... فمن أدْماءَ مرتعُها الخلاءُ
وأما المقلتان فمن مهاةٍ ... وللدُّرِّ الملاحةُ والصفاءُ (79)

فنلاحظ التفاصيل الدقيقة والهوامش ، فجعل ما فوق العقد للظباء ، وجعل للمهاة عينيها وللدر الملاحة والصفاء ، فتمكن بمهارة خاصة تعدد ابعاد الصورة وتمثيلها . هذا المستوى جعل الدكتور شوقي ضيف يتابع تصويره فيقول عنه : ((كان ما يزال يحتال على أحكامه تارة بتفصيله وتارة بتلوينه ، وأخرى باستخدام العبارات التي تعطيه قوة المنظور ، وكأنه كان يعرف في دقة الكلمة التي تلائم وصفه معرفة الصانع الماهر الذي اطَّلع على كثير من أسرار فنه والأدوات التي يستخدمها في صناعته ويستطيع القارئ أن يعود إلى مطوّلته فسيراها تصور مهارته في صنع صوره تصويراً دقيقاً ، وانظر إليه يستهلها بقوله :

أمن أُمِّ أوفى دمنةٌ لم تكلَّم ... بحومْانةِ الدَّراج فالمتَثَلَّم
ديارٌ لها بالرقمتين كأنها ... مراجعُ وشمٍ في نواشر معْصم
بها العين والارام يمشين خلفةً ... وأطلاؤها ينهضْنَ من كل مجْثم
وقفت بها من بعد عشرين حجَّةً ... فلأياً عرفت الدار بعد توهُّمِ
أثانّي سُفْعاً في معَّرس مِرْجلٍ ... ونؤياً كجذْم الحوضِ لم يتثلَّمِ
فلما عرفت الدار قلت لربعها ... ألا أنعم صباحاً أيها الرَّبعُ وأسلمِ

فيعتمد زهير في تصويره الطلل على التفاصيل معطياً كل جزء حقه ، فهو باحث محقق ، يطلب في شعره أن يكون أكثر بياناً ودقة وتفصيلاً لما يتحدث عنه ، ويحاول أن يصوره ، فهو من الشعراء المصورين الذين يحاولون عرض المناظر أمامنا بكل أجزائها وتفاصيلها ، ولذلك نراه يذكر في نموذجه حين يتحدث عن الأطلال الأثافي والنؤى حتى تتم الصورة بجميع دقائقها ، على أن مقدرته في (التصوير) تظهر في جانب آخر هو استخدام الألفاظ والعبارات التي تجعل المنظر بارزاً ناطقاً .

ونظر في البيت الثالث إلى هذه الوحش التي اتخذت دار صاحبته مقاماً فإنك تراها تمشي أمامك خلفةً ، أي في جهات متضادة . وقد نهضت أطلاؤها الصغار وانتشرت هنا وهناك ... فاستعان على بثِّ الحركة في المنظر باستخدامه لكلمة ((خلفة)) ثم الافعال المضارعة للدلالة على الأحوال

المنظورة . فإنه يأتي بها ليجعلنا نبصر حوادثه الماضية . وكأنها تجري تحت أعيننا ... والبيت الرابع وما وضع فيه من تحديد (الزمان) حتى يؤثر في أنفسنا ، ثم انظر إلى تلك التحية الهادئة في البيت الأخير ، فإنك لا تشك في أن زهيراً كان يعرف سر مهنته معرفة دقيقة ..)[80] وكل ذلك لم يقدمه على امرئ القيس لأفضلية الثاني في إبداع الصور العفوية .

ولعل من المفيد أن نعيد القول إن الطبقة الأولى في طبقات ابن سلام ، كان هناك من النقاد من يقدم فيها زهيراً . وهو على أية حال إذا لم يكن التسلسل الأول فهو ضمن الطبقة الأولى بلا منافس لما أبدعه من صور تفصيلية رائعة . فإبداع الصورة منذ الجاهلية كانت أساساً للمفاضلة بين الشعراء ، وامرؤ القيس إذا كان لا يمتلك هذه الدقة في التفاصيل ، إلا أنه أبدع في صوره أيما إبداع ، الأمر الذي جعل ابن سلام يستشهد له أكثر من أي شاعر أخر ، مستعرضاً شعره الذي استحسنه الناس لما فيه من صور رائعة وتشبيه نادر ، ومن ذلك قوله :

نظـــرتُ إليهـــا والنجـــوم كأنهـــا مصـــابيح رهبـــان تشـــب لقفّـــاَلِ

((نظر للمرأة التي وصفها كأنها نار من جمالاً وتوقدها ، كأنها تهديه وتقوده إليها . وذلك في ليلة غاب قمرها ، فأشتد لألاء نجومها . فكأنها مصابيح رهبان ، في دير مفرد في الصحراء فرقوها وشبوها ليهتدي بها المسافرون من بُعد . والقفال جمع قافل وهو الراجع من سفره . وأراد المسافرين بلا قيد ذاهبين أو آيبين))[81] .

وقوله :

أيقتلنـــي والمشـــرفيُّ مضـــاجعي ومســـنونةٌ زُرقُ كأنيـــاب أغـــوالِ

يهزأ بزوج امرأة دَبّ إليها ، ويصف الهول الذي وقع في قلبه من الأقدام على قتله ، مع شدة غيرته . المشرفي : السيف ينعت بالجودة ، منسوب إلى مشارف الشام أو اليمن ، وهي التي تشرف على حد الريف . والزرق : نصال الرماح والسهام ، نعتت بالزرقة لشدة التماعها وبريقها فهي ترى زرقاً .

وقوله :

كـــأني غـــداةَ البـــين حـــين تحملـــوا لـــدى ســـمرات الحـــي نـــافق منظـــلِ

والبين الفراق . وتحملوا ، حملوا أمتاعهم على الإبل ، استعداداً للرحيل . والسمرات جمع سمرة ، وهـــي مـــن شـــجر الطلـــح . ونقـــف الحنظـــل ينفقـــه ، شـــقه بظفره ، ليستخرج حبه . والحنظل شديد الرائحة تدمع منها العين . يصف هيئة وقوفه تحت ظلال السمرات ، ينظر إلى أهل صاحبته وهم على وشك الرحيل . فهو منكسر الرأس ، مستسلم لما هو فيه ،

يفتل أصابعه ليخف لواعج قلبه ، ودمعه يتحدر لا يملك رده ، ولا يحاول كفكفته بيد أو رداء ولذلك شبه نفسه بناقف الحنظل [82] .

ولا نبتعد عن الصواب إذ قلنا إنه اتسعت اتجاهات التقييم ووزن الشعر فيما بعد ، إلا أن هذا التوسع في النقد والمفاضلة كان تأسيساً على محاكاة طبقات الفحول الذي كان أمر المفاضلة بينهم أمراً عسيراً لكنه لم يصعب على أمثال ابن سلام الذي امتلك أدواته، وجعل من أسباب المفاضلة أبداع التصوير عند الشاعر .

إننا في النتيجة نريد الصورة أن يعرضها أمامنا الشاعر لما يجول في خاطره ، يعبر عما في نفسه لما يحمله من آراء وحكم ورسوم . لذلك كان تصدي النقاد شاملاً لكل توجه في القصيدة مظهرين كل عيب . بما في ذلك المضامين الهادفة من القصيدة . ونقل لنا في هذا التوجه الدكتور ثويني من نقد لشعر جرير قوله :

طرقَتْـــكَ صـــائدةُ القلـــوب ولـــيس ذا وقـــتَ الزيـــارةِ فـــارجعي بســـلامِ
تجـــري السّـــواكَ علـــى أغـــرَّ كأنَّـــهُ بـــردٌ تحـــدر مـــن متـــون غمـــام

فيقول: (فليته إذا كان طردها ما كان وصفها) ... ومن نقد الصورة الطريف ما قاله رجلٌ لخلف الأحمر : إني قلتُ شعراً أحببت أن أعرضه عليك لتصدقني . فقال هات ، فأنشده :

رَقَـــدَ النـــوى حتـــى إذا انتبـــه الهـــوى بعـــثَ النّـــوى بـــالبينِ والتّرحـــالِ
مـــا للنـــوى ؟ جـــدَّ النّـــوى ، قطـــع النّـــوى بالوصـــــلِ بـــينَ ميـــامنِ وشـــمالِ

فقال له خلف :

دعْ قولي واحذر الوشاة فوالله لئن ظفرتْ بهذا البيت لتجعلنه بعراً . على أنّي ما ظننت بك هذا كلّهُ))[83] .

ومن هذه الصورة الظريفة نجد أنفسنا أمام منحى طبيعي وعلى أحد طرفيه مثل هذه الصورة ، مقابل الصور التي رسمها امرؤ القيس أو زهير ، وإبداعهما قي فن التصوير مكنهم من هذا الرقي ليكونا على الطرف الأخر المتميز ، في حين يتوزع الشعراء على خط هذا المنحى سلباً أو ايجابياً . وليظل أبداع الصورة مقياساً للمفاضلة بين الشعراء ، إلى يومنا هذا . إن تعدد الدراسات في هذا المجال وفي تخصصات دقيقة مثل (المجاز معياراً في النقد العربي القديم)[84] وغيرها كثير تقتفي أثر آراء الجاحظ وابن قتيبة والامدي والجرجاني وغيرهم . وليس لنا أن نخوض فيها لأن مهمتنا في اتجاهات محددة وجزاهم الله — القدماء والمحدثين — كل خير عن لغة القرآن وجعل لهم في كل حرف ثواباً .

الخاتمة

لقد عرفنا أن المفاضلة بين الشعراء ، ربما بدأت منذ أن سمع الإنسان الشعر ، ولكن بأحكام فطرية موجزة لا تحمل صفة العلمية من التحليل والتعليل أو ذكر أسباب المفاضلة . ثم بدء تذوق الشعر عند الناس والعناية به ، ويظهر الحس الأدبي ، ويرتقي المنطق ، ويصفو العقل ، ولم يتوقف عند نثر الكلام بسرعة في أطلاق الحكم ، بل يوضح الأسباب ، ويظهر سمات القوة والضعف ، ومن جماعات مختصة بالنقد ، وبعد التدوين ، أخذ النقاد وعلماء اللغة ، يضعون أصولاً للبيان وآداباً للكلام ، فاصطبغت المفاضلة بالقواعد العلمية ، وذكر الأسباب والعلل فضلاً عن الأحكام .

فالمفاضلة التي قصدناها في هذا البحث هي الحكم الذي يصدر على الشاعر لتحديد مكانته بين الشعراء . وهذه المكانة كانت تعتمد على الرواية الثقة ، وعلى ما يصل من الشاعر من نتاج شعري بعد تنقيته من الزيف والوضع والاختلاط . وهذا لن يتيسر بمعزل عن تخصص وعلماء كبار لهم إحاطة شاملة باللغة والذوق الرفيع . فكان التقصي الشامل والمتابعة الدقيقة لآثار الشاعر ثم المفاضلة هذه المفاضلة التي وقفنا عليها في مقاييس الإجادة والكم الشعري وتعدد الأغراض وإبداع الصورة ، عند ابن سلاّم مثلاً ، تجعلنا في دهشة وإعجاب لهذا المستوى المثالي من الدقة في المفاضلة بين شعراء كبار في زمان واحد ومكان واحد ، وكلما ازداد الباحث تدقيقاً في مفاضلتهم وجدها تقترب من عين الصواب ، وهم ينصفون القول ، ويوفون الحق لكل شاعر . ولعل من المفيد أن نذكر أن هذه المفاضلة أسهمت في إلهام الشعراء واندفاعهم ، زيادة على تفسير الشعر وتوضيحه للقارئ مما زاد في تذوقه ، وتسليط الضوء على ما فيه من قيم وجوانب مشرقة وصور رائعة تدل هي الأخرى على موهبة الشعراء الفحول . وأثرها الطيب في خلود الآثار الشعرية ، والحفاظ على موقع الشاعر الفحل ، وأثره على الأجيال التالية في محاكاة النماذج الرائعة ويعمق في نفوسهم الاهتمام بالجيد الذي يترك أثره في الحياة .

الهوامش

(1) طبقات فحول الشعراء : 5/1 .
(2) طبقات فحول الشعراء : 7/1 .
(3) الأغاني : 330/9 .
(4) الأغاني : 331/9 .
(5) طبقات فحول الشعراء : 216-215/1 .
(6) منهج النقد الأدبي عند العرب : 29 .
(7) ينظر منهج النقد الأدبي عند العرب : 30 .
(8) طبقات فحول الشعراء : 11/1 .
(9) طبقات فحول الشعراء : 56 .
(10) طبقات فحول الشعراء : 54/1 .
(11) دراسات في الأدب الإسلامي والأموي : 73 .
(12) ينظر دراسات في الأدب الإسلامي والأموي : 74-75 .
(13) منهج النقد الأدبي عند العرب : 32 .
(14) جمهرة أشعار العرب : 110-109/1 .
(15) جمهرة أشعار العرب : 110/1 .
(16) منهج النقد الأدبي عند العرب : 39 .
(17) الموشح : 209 .
(18) دراسات في الأدب الإسلامي والأموي : 101 وينظر حلية المحاضرة :328/1 .
(19) دراسات في الأدب الإسلامي والأموي : 101 .
(20) الأغاني : 5/13 .
(21) الأغاني : 63/11 .
(22) الموشح : المقدمة : و .
(23) ينظر أصول النقد الأدبي : 280-284 .
(24) الكامل : 20-21.
(25) منهج النقد الأدبي عند العرب : 103 .
(26) معجم النقد العربي القديم : 376/2 .
(27) معجم النقد العربي القديم : 341/2 .
(28) الوساطة : 100 .
(29) المجاز معياراً في النقد العربي القديم : 155 .
(30) تاريخ النقد عند العرب : 76 .
(31) تاريخ النقد عند العرب : 77-80 .
(32) طبقات فحول الشعراء : 56/1 .
(33) الأغاني : 297/16 .
(34) الأغاني : 105-104/9 .
(35) طبقات فحول الشعراء : 64/1 .

(36) طبقات فحول الشعراء : 64/1 .
(37) طبقات فحول الشعراء : 128/1-136 .
(38) طبقات فحول الشعراء : 215/1-219 .
(39) محاضرات في تاريخ النقد عند العرب : 52 .
(40) طبقات فحول الشعراء : 374/2 .
(41) طبقات فحول الشعراء : 375/2 .
(42) طبقات فحول الشعراء : 376/2 .
(43) طبقات فحول الشعراء : 373/2 .
(44) طبقات فحول الشعراء : 451/2-452 .
(45) الموشح : 313-314 .
(46) الموشح : 316 + ديوان أبي تمام : 63 .
(47) الموشح : 313 .
(48) الشعر والشعراء : 29 .
(49) طبقات فحول الشعراء : 137/1-142 .
(50) طبقات فحول الشعراء : 144/1-148 .
(51) طبقات فحول الشعراء : 163/1-164 .
(52) منهج النقد الأدبي عند العرب : 66 وينظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب : 283 .
(53) البيان والتبيين : 101/2 .
(54) طبقات فحول الشعراء : 41/1-45 .
(55) طبقات فحول الشعراء : 55/1 .
(56) طبقات فحول الشعراء : 65/1 .
(57) طبقات فحول الشعراء : 65/1 .
(58) الشعر والشعراء : 24 .
(59) التطور والتجديد في العصر الأموي : 44 .
(60) الأغاني : 92/8 .
(61) تعدد الأغراض في مقاييس المفاضلة بين الشعراء : 270 .
(62) طبقات فحول الشعراء : 53/1 .
(63) طبقات فحول الشعراء : 82/1 .
(64) ديوان امرئ القيس : 27 .
(65) ينظر الجمان في تشبيهات القرآن : 229 .
(66) الكامل : 32/3 .
(67) الصناعتين : 255-226 .
(68) العمدة : 290/1 .
(69) التشبيهات : 152-153 .
(70) ينظر كتاب الصناعتين : 256 .
(71) ينظر أسرار البلاغة : 151-152 .

(72) الفن ومذاهبه في الشعر العربي : 14 .
(73) طبقات فحول الشعراء : 84/1 وينظر الفن ومذاهبه في الشعر العربي : 14 .
(74) ينظر الفن ومذاهبه في الشعر العربي : 16-17 .
(75) الجمان في تشبيهات القرآن : 228-229 .
(76) ينظر معاهد التنصيص : 335/1-336 .
(77) البيان والتبيين : 9/2-13 . وينظر مصادر الشعر الجاهلي : 120-121 .
(78) العمدة : 137/1 .
(79) ديوان زهير : 61 .
(80) الفن ومذاهبه في الشعر العربي : 27-29 .
(81) طبقات فحول الشعراء : 22/1 .
(82) طبقات فحول الشعراء : 84/1 .
(83) منهج النقد الأدبي عند العرب : 58-59 .
(84) أطروحة دكتوراه ، رميض مطر حمد ، كلية الآداب الجامعة المستنصرية ، 2000م .

المصادر والمراجع

- أسرار البلاغة في علم البيان – الجرجاني ، عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد أبو بكر (ت 471هـ-747م) نشره وعلق على حواشيه السيد محمد رشيد رضا ، دار المنار بمصر ، 1367هـ - 1947م
- أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، ط7 ، مكتبة النهضة المصرية ، 1964
الأغاني : أبو الفرج الأصبهاني . ضبطه وصححه لجنة من الأدباء ط3 دار الفكر دار الحياة – بيروت – 1955
- البيان والتبين : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط4 ، 1395-1975م
- جمهرة أشعار العرب ، القرشي أبو زيد محمد الخطاب ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ، 1387 – 1967
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، طه أحمد إبراهيم ، بيروت
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، عبد العزيز عتيق ، بيروت ، 1972
- التطور والتجديد في الشعر الأموي ، الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط5 د.ت
- دراسات في الأدب الإسلامي والأموي ، الشعراء نقاداً ، د. عبد الجبار المطلبي ، وزارة الثقافة والأعلام ، بغداد ، ط1 ، 1986
- ديوان أبي تمام ، شرح وتعليق د. شاهين عطية ، مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني ، ط1 ، بيروت ، 1387 – 1968
- ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط4
- ديوان زهير ، دار الكتب ، القاهرة ، د.ت
- الشعر والشعراء (طبقات) لابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276هـ) ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ، 1387هـ -1967م
- طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجحمي (ت 231هـ) ، شرح محمد محمود شاكر ، طبعة المدني ، القاهرة . د.ت
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، أبو علي حسن الأزدي (ت 456هـ) ، حققه وعلق عليه محمد محجي الدين عبد الحميد ، دار الجيل للنشر والطبع ، بيروت د.ت
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط6 د.ت
- الكامل ، أبو العباس محمد أحمد بن يحيى بن ثعلب ، تحقيق وتقديم وتعليق د. رمضان عبد التواب ، دار المعرفة للنشر ، القاهرة ، 1966
- كتاب الصناعتين ، العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت 395هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة البابي الحلبي ، 1971م
- المجاز معياراً في النقد العربي القديم ، رسالة دكتوراه ، د. ارميض مطر حمد الدليمي ، المستنصرية ، 2000م
- مجلة أم القرى للعلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها ، ج17 ع-29 صفر ، 1425هـ / تعدد الأغراض في مقاييس المفاضلة بين الشعراء
- محاضرات في تاريخ النقد عند العرب ، دكتورة ابتسام مرهون ، والدكتور ناصر حلاوي ، جامعة بغداد ، 1990

- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، د. ناصر الدين الأسد ، دار المعارف ، القاهرة ، ط5
- معجم النقد العربي القديم ، د. أحمد مطلوب ، ج2 ، الشوؤن الثقافية وزارة الثقافة والأعلام ، بغداد ، ط1 ، 1989
- منهج النقد العربي عند العرب ، الدكتور حميد آدم ثويني ، 2004م-1424هـ ، دار الصفا للنشر والتوزيع ، عمان
- الموشح – في مأخذ العلماء على الشعراء – ، للمرزباني ، أبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى (ت 384) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، نهضة مصر د.ت
- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي علي بن عبد العزيز الحسن الجرجاني (ت 382هـ) ، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، ط3 ، البابي الحلبي ، 1951م